مسابقة الأدب العربي

أخبار أبي تمام

للدكتور زكي مبارك

قرظ الأديب بالأديب

أتممت قراءة « أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي » وأثنيت من جديد على اللجنة المؤلفة من رجال الجامعة ورجال المعارف لتنظيم هذه المسابقات بمثل هذا النظر الدقيق

قضيت في قراءة هذا الكتاب سبع سهرات هي بداية كريمة لسهرات العام الجديد ، ومن هذا الكتاب عرفت أن الأستاذين العظيمين خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام قد استطاعا تكوين قسم خاص بمكتبة الجامعة المصرية يشتمل على جميع ما أمكن الوصول إليه من المؤلفات التي عُني مؤلفوها بأبي تمام العظيم

وليس من الجديد أن أعرف الأستاذ محمد عبده عزام ، فقد عرفته قبل سنين طوال ، وأنا لا أستكثر عليه أي فضل ، فهو أهل لكل فضل ، وإنما الجديد هو التفاتي إلى الأستاذ خليل محمود عساكر ، وأنا لا أذكر أني التفت إليه قبل قراءة هذا الكتاب ، فليتقبل مني أصدق الثناء

وعلى غلاف الكتاب اسم الأستاذ « نظير الإسلام الهندي » بدون أي مجهود ظاهر يستحق وضع اسمه على الكتاب ، ولكني بعد التأمل رأيته صحح لفظة كانت تحتاج إلى مهارة في التصحيح ، وأنا أرى أن تصحيح لفظة واحدة عمل من أجل الأعمال ؛ فقد انقضى زمن الأحجام والأوزان والمكاييل !

من هو الصولي

معرفتي بأبي بكر الصولي قديمة العهد ، فقد كان صاحب الفضل في أن أعرف مؤلف « الرسالة العذراء » يوم ثار الخلاف بيني وبين أستاذي مرسيه تحت أروقة الكوليج دي فرانس

وكان مثار الخلاف أن نسبة الرسالة العذراء إلى ابن الدبّر ليست موضع يقين

إشارة واحدة في كتاب « أدب الكتّاب للصولي » دلّتني على أن ابن الدبّر هو مؤلف الرسالة العذراء

ولكني لم أعرف الصولي معرفة حب وإعجاب إلا بعد قراءة كتاب « أخبار أبي تمام » فقد وجدته يؤمن بالأدب إيماناً هو الغاية في العمق ، والذي يقرأ دفاعه عن أبي تمام يكاد يتوهم أنه يتحدث عن نبي من الأنبياء ، لا شاعر من الشعراء ، ويزيد في قيمته أنه يردّ معاني أبي تمام إلى مصادرها القديمة حين يجد ما يوجب ذلك ، وهذا الصنيع يشهد بحب هذا الرجل للصدق ، ورغبته في أن تسلم أقواله من الأهواء

وقد تألمت حين تذكرت أن من الصعب أن نصل إلى بقية مؤلفات الصولي ، ولا سيما المؤلفات الخاصة بتحقيق طائفة من دواوين الشعراء ، كالذي صنع في تحقيق ديوان أبي نواس ، بحيث صارت نسخته هي النسخة المعتمدة ، وبحيث صارت النسخ القديمة تباع بدراهم بعد أن كانت تباع بعدد أوراقها دنانير

فأين تلك النسخة الفريدة ؟

هل يسمح الزمان بأن نجدها في أي مكان ؟

إن ديوان أبي نواس أهمل ، ولا أذكر أن في علماء هذا العصر من اهتم بشرحه ، مع استثناء جهد أستاذنا الشيخ سيد المرصفي في شرح الرائية التي منها هذا البيت :

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المرّ من ثمره

وأهمية نسخة الصولي أنها من تصنيف رجل قريب من زمن أبي نواس ، ومن حديث الصولي نعرف أن المفاضلات بين بشار وأبي نواس كانت تشغل الأندية الأدبية في تلك الأيام ، ومعنى هذا أن أشعار أبي نواس كانت لا تزال بمنجاة من التزيد والافتراء

يرحم الله الصولي !

تراجم مفقودة

قال الناشران الفاضلان إنهما لم يعثرا على ترجمة مناخم بن فاتك الذي ألف له الصولي كتاب « أخبار أبي تمام » ، وأقول إن ترجمته موجودة بشهادة هذا الكتاب ، أعني أنه كان

شخصية كبيرة عاشت فى صدر القرن الرابع واستحقت التفات الصولى الذى كانت له منزلة تسمح بمنادمة الخلفاء

ولكن هنالك تراجم مفقودة أحب أن يبحث عنها هذان الناشران الفاضلان ، وهى تراجم الرجال الذين عادُوا الصولى عداء ذهب برشده كل مذهب وأجرى قلمه بما لا يصدر إلا عن رجل مغتاظ مهتاج

ومن المؤكد أن أولئك الرجال لم يكونوا نكرات ، فكلامه صريح فى أنهم كانوا يباروْنه فى التأليف ، ويحاولون أن يخرجوه من الميدان

لقد حدثنا أنه انتصر عليهم ، ولكن من هؤلاء الذين غاظوه وحاربوه ؟

إنه كتب كثيراً من الصفحات فى ذمهم وثلبهم ليبرد ما يتأجج فى صدره من نيران الحقد

فمن هؤلاء ؟

لا بد من النظر مرة ثانية فى التاريخ الأدبى لذلك العهد ، فمن المحتمل أن نعرف فريقاً من هؤلاء ، ومن المحتمل إن عرفناهم أن يزيد فهمنا للمشكلات الأدبية عند ذلك الجيل ، وهو من أهم الأجيال

مقدمات وشروح

نجد مع هذا الكتاب مقدمتين : الأولى بقلم الأستاذ أحمد بك أمين ، والثانية من صنع الأستاذ خليل محمود عساكر والأستاذ محمد عبده عزام

والمقدمة الأولى جيدة ، وإن كنت أنكر أن يقول فيها الأستاذ أحمد أمين إن أبا تمام أخرج الشعر من رأسه لا من قلبه ، فهذا القول غير صحيح ، لأن أبا تمام رجل قوى القلب إلى أبعد الحدود ، وشعوره بالحياة يدل على أنه كان غاية فى قوة الوجدان

وسنفصّل هذا المعنى في المقال المقبل

أما المقدمة الثانية فهى صورة من صور البحث الهادئ الرزين والشروح سخية جدًّا ، ففيها معارف أدبية ولغوية وتاريخية تنفع القارئ أجزل النفع ، ونشهد لمؤلفيها بالصبر على عناء الاستقصاء

٩ - ٢٢

وفى ذيل الكتاب فهارس وافية ، وقد روعيت فيها الأصول الصحيحة ، على خير ما نرجو لإحياء مؤلفات القدماء

هبة الأيام

وأنتهز هذه الفرصة فأدعو المتسابقين إلى النظر فى كتاب « هِبَة الأيام ، فيما يتعلق بأبى تمام » للبديعي ، ففي هذا الكتاب أشياء تكمل كتاب الصولى ، وقد نشره الأستاذ محمود مصطفى أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية ، وقد فقدته لغة العرب منذ سنة أو سنتين ، فما أذكر متى مات ، إن كنت أذكر أنه اختُضِر ليفارق على غير ميعاد

لو كان الأستاذ محمود مصطفى نشأ فى عهد مثل عهد الصولى لوجد من يترحم عليه ويحيى ما ترك من غرر المخطوطات ، ولكنه نشأ فى عهد محوط بتقلبات لا تطاق ، فلم يبكه غير كفنه ومضى وحيداً إلى دار البقاء

لم يُرث الأستاذ محمود مصطفى إلا بكلمة أو كلمتين فى مجلة « الرسالة » ، وهذا فضل عظيم ، فقد سكت عن نعيه جميع من انتفعوا بأدبه من أصحاب الجرائد والمجلات

أسئلة الامتحان

وأرجع إلى الموضوع الأصيل فأقول : إنى كنت أضمن فى كل مرة قدرة الظفر بالخزانة التى تودع فيها أسئلة الامتحان فليعرفوا أن هذا المقال محاولة لكسر أقفال تلك الخزانة ، وليثقوا بأنى سأنقل إليهم أسرارها فى المقال المقبل

ما هو الشمع الأحمر الذى تختم به وزارة المعارف صناديق أسئلة الامتحان ؟

نحن نوجه تلاميذنا توجيهاً يضمن لهم معرفة تلك الأسئلة بأيسر عناء ، وإن كان من العسير عليهم أن يصلوا إلى خزانة محروسة بجنود صناديد

فى مقدور كل تلميذ أن يهب وزارة المعارف وأن يظفر بألقابها حين يشاء ، على شرط أن « يعرف » كيف يهب وزارة المعارف ، وهى وزارة تشتهى أن ينبهها أبناؤها الأوفياء

فإلى المقال المقبل ، يا عشاق المجد من قرائى .

زكى مبارك